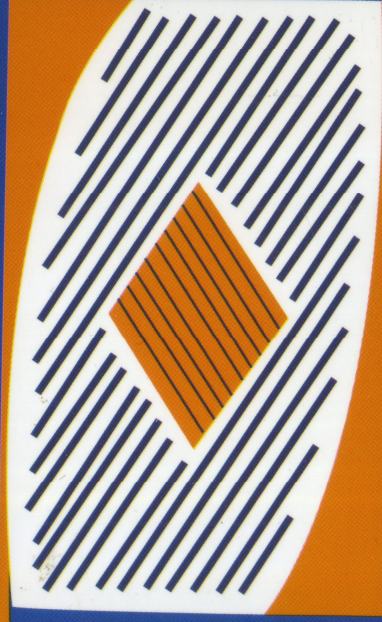


الملكة الفربية
جامعة السلطان مولاي سليمان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بنجي ملال

مجلة كلية الآداب بنجي ملال

سبوية علمية محكمة تعنى بالعلوم الإنسانية



2011

العدد 12

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال
تصدر مرة في السنة

المدير المساعد

أ.أ. إدريس ميموني

المدير المسؤول

بناصر وسكوم

اللجنة العلمية

مولاد موهوب

يحيى الخالقي

محمد صداد

عبد العزيز الكير

محمد حواش

محمد العاطي

جمال كويالي

عز الدين نزهي

صباح الخاوة

سعيد شبار

عبد الرحمان العضراوي

محمد انهوري

هيئة التدريس

مولاي إدريس ميموني

محمد بالاشعيب

عبد القادر أيت الغازي

عبد المجيد أنمو

خاله وزاني

رشيد حمدي

خاله شواوش

التصحيح والتدريس والمساعدة التقنية :

محمد نصيحي



رقم الإيداع القانوني: 39 / 1995

العدد: 12 / 2011

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
أولاد حمدان ، ص. ب. 524

الهاتف : 05 23 48 46 81 - الفاكس : 05 23 48 17 72

* "في مرآتنا عالم آخر" وفن الرواية متابعات أدبية في المغرب
أحمد العلوي

7

* النلفظ والاستراتيجيات الخطابية في القرآن وصف وتحليل ونقد
عبد العزيز فارس

11

* معالم المنهج النقدي عند السيوطي في الزهر
إدريس ميموني

39

* السياق والتواصل
رشيدة زغواني

59

* التكامل المعرفي بين علم اللسانيات وبين بعض العلوم الإنسانية
مولاي احمد إسماعيلي علوي

71

* الخصائص الجمالية في الحديث النبوي الشريف
مليكة حفان

83

* نحو عربية وظيفية
عبد الصمد الرواعي

99

* الكلمات الألفية ذات الأصل العربي
حميد باعلا

119

* تجربة عبد الكريم برشيد في توظيف التراث الشعبي
معروف مختارية حنان

129

* البعد التصوري في شعر ابن خفاجة الأندلسي
عيسى بن محمد بن عبد الله السليماني

139

- 157
* ملامح المنهج الفني في كتاب (زهر الآداب) للحصري القيرواني
محمد مهدي
- 169
* الموضوع والمعرفة البصرية في (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي
عبد العزيز فارس
- 175
* أسئلة الإصلاح وأجوبة المقاصد في سلفية الطاهر بن عاشور
د. عبد الرحمان العضاوي
- 201
* وجود الخائق حقيقة ثابتة والشعور به أمر فطري
المصطفى البوعزاوي
- 213
* الإمام مالك بن أنس علم من أعلام علم الجرح والتعديل
عائشة شهيد
- 245
* القاربة متعددة التخصصات : الجغرافيا وعلم الاجتماع نموذجاً
محسن إدالي
- 257
* التاريخ بين القراءة والكتابات
عبد العزيز أكرير
- 271
* أضواء على الأجهزة الإدارية والقضائية ببلاد الشام في القرن 6 الهجري / 12 م
عبد المجيد هيني
- 281
* هجوم المورين على جنوب اسبانيا في النصف الثاني من القرن 2 م: السياق وطبيعة الحديث
الزبير بوججار
- 299
* سوس حلقة تواصل تجاري وثقافي بين المغرب وبلاد السودان خلال العصر الحديث
الحسين عماري
- 329
* أسرة علمية بنو ذكوان بالأندلس
محمد حقي

أسرة علمية: بنو ذكوان بالأندلس

د.د. محمد حقي
كلية الآداب بني ملال

فتح انتقال أمويي الأندلس إلى نظام الخلافة الأبواب أمام كل السكان ومن كل الأعراق للمساهمة في تطويرها وتسيير شؤونها. وكان للبربر قسط وافر من هذه الخطوة، حيث صعدت أسر كثيرة إلى السطح، وشغلت مناصب رفيعة في الإدارة الأموية. وانفرد القضاء بهيمنة بربرية واضحة إذ كاد يتحول إلى إقطاعية بربرية واحتكار لأبناء هذه المجموعة العرقية خلال القرن 4هـ/10م بداية بآبي عيسى محمد بن عبد الله المصمودي الليثي ومرورا بمندار بن سعيد الكزني البلوطي وانتهاء بآبي العباس أحمد بن ذكوان. ولم يكن هؤلاء القضاة يعملون لوحدهم، إذ وقفت إلى جانبهم أسرهم وعشائرتهم وتولى رجالها المناصب التابعة للوظيفة. وهذا يجعل تناول قضية أفراد امتد إلى أسر بكاملها. وتعتبر أسرة آل ذكوان نموذجاً لأسرة بربرية نجحت في ترك بصماتها في المجتمع الأندلسي في النصف الأخير من عمر الخلافة، ولعب رجالها بداية بآبي العباس أدواراً خطيرة. فمن أين جاءت هذه الأسرة؟ وكيف كانت بداياتها؟ وما هي الوجوه البارزة التي نبغت منها؟ وما هي المناصب التي تولتها؟

1- أصل الأسرة وبدايتها

لا تتوفر المصادر إلا معلومات قليلة عن أصل الأسرة وبداياتها الأولى. فابن الفرغني يذكر أن الأسرة من بربر جيان، أما ابن حيان¹ فيورد أنها من بربر فحس البلوط وأنها من موالي بني أمية وبعد

1 - ابن الفرغني، تاريخ العلماء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ج 1، ص. 275.

انقراض دولتهم انتقلت إلى ولاء قيس بن عيلان بن سليم²، ويزعمون أحياناً أنهم من بني سليم³. ولا تملك أي معلومات عن تاريخ استقرارهم بالأندلس إلا أن بعض القرائن المتوفرة قد تساعد على تحديد تاريخ تقريبي.

إن موقع الأسرة الاجتماعي خلال القرن 4هـ/10م يؤكد أنها ليست من البربر الحديثي العهد بالهجرة، مما يساعد على استنتاج كون هجرتها سبقت هذا التاريخ. وإذا اعتمدنا المعطيات الواردة في كتابنا "البربر في الأندلس"⁴ عن الهجرات البربرية يتأكد لنا أنها استقرت بالعدوة الأندلسية قبل القرن 3هـ/9م، وهو ما يعني أنها إما من بربر الفتح أو بداية الدولة الأموية في الأندلس.

كانت بداية الحديث عن هذه الأسرة مرتبطة بمؤسسها عبد الله بن هرثمة بن ذكوان؛ والد قاضي القضاة أبي العباس، حين تولى قضاء الرد خلافة لعبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطي بعد إعدامه عام 368هـ/978م. وقد استمر في المنصب حتى وفاته بعد عامين⁵. وكان قد سمع من الحسن بن سعد وقاسم بن أصبغ وأحمد بن عبادة وأمثالهم، وحصل تكويناً ارتكز على اللغة والنحو والتاريخ والفقه. وتميز بخصال رفيعة وسامية مثل العقل والأدب والمروءة الوافرة، وهي التي ساعدته إلى جانب قربه من المنصور العامري على السمو إلى المنصب الذي احتله⁶. وكان الوقت الذي قضاه في الرد كافياً لترسيخ قدم أسرته في القضاء وجعله متداولاً بين أفرادها لأكثر من ثلاثة أرباع القرن.

2- مجد آل ذكوان: قاضي القضاة أبو العباس

يعتبر أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الأموي⁷ أشهر رجالات هذا البيت ومصدر مجده وفخره، فيه ارتبطت شهرة الأسرة وبدعمه بزغ نجم باقي أفرادها. وتجاوزت زعامته أهل بيته إلى تصدر رجالات الأندلس في نهاية القرن 4هـ/10م.

- 2- عياض، ترتيب المدارك، مطبعة فضالة، المحمدية، ج 7، ص. 167، وعبد الملك المراكشي، الدليل والتكملة، دار الثقافة، بيروت، ج 5، القسم الثاني، ص. 447.
- 3- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، دار المعارف، مصر، ج 1، ص. 210.
- 4- البربر في الأندلس، مطبعة النضاح الجديدة، البيضاء، 2001، الفصل الثاني، ص. (31-57).
- 5- ابن الغزني، المصدر السابق، ج 1، ص. 275 وعياض، المصدر السابق، ج 7، ص. 167.
- 6- نفسه.
- 7- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، دار المشرق، بيروت، 1956، ج 2، ص. 48، وابن بشكوال، الصلة، مطبعة روجس، مدريد، 1882، ص. 37.

نجهل الكثير عن بداياته الأولى، وكل ما نعرفه هو أن ولادته كانت في جمادى الثانية من عام 342 هـ/952م بقرطبة كما يرجح. ولا نملك أية معلومات عن تكوينه العلمي غير ما ذكره عياض من كونه عالما بمذاهب المالكية وأيضاً من جلة أصحاب القاضي ابن زرب وتلامذته⁹. وهذا يفترض أنه درس الفقه على أكبر شيوخ عصره إضافة إلى العلوم التي تلقى الإقبال من أهل الأندلس خاصة اللغة والأدب والتاريخ. ويستدرك عياض عندما يقول أنه لم يستبحر في الحفظ غير أنه كان يعوض هذا النقص بدبرته الكبيرة في القضاء وقدرته على المناظرة وإفحام الخصوم¹⁰. وهذه خصال ضرورية في ذلك العصر الذي اشتهر فيه التنافس بين الشيوخ واستعملت فيه وسائل حادة وخارجة أحياناً عن أدب العلم.

كثرت عبارات التقريظ بشأنه حتى ممن لم تألف منهم مديحا لأحد كابن حيان الذي كتب عنه: "كان صارماً في حكمه، محمود الطريقة، عاقلاً عالماً بمذاهب المالكية، ذا عفاف ونزاهة، وبراءة من الريية، وبعد همة، وفراط هيبة"¹¹، وقال عنه أبو الخيار الششتري الداودي عدوه ومنافسه: "كان أكبر ما فيه عقله ورأيه"¹²، وأضاف ابن بشكوال: "هو عظيم أهل الأندلس قاطبة وأعلامهم محلاً وأوفرهم جاهاً"¹³، وتابع النباهي المديح فقال: "كان من أرفع خلال القاضي ابن ذكوان صحة رأيه، وإحماصه النصيحة لمن شاوره"¹⁴. وتجمع كل هذه الشهادات على التنويه بعقل القاضي وذكائه ونزاهته وعدله وقاره وبعد هيمته، وهي صفات الزعماء والقادة.

كانت علاقة أبي العباس بآل عامر حجاب وحكام الأندلس الفعليين في عصره طيبة ومتينة، حيث دعم ما ورثه عن والده وتحول إلى مستشار للمنصور ابن أبي عامر في كل القضايا، إذ جعله في منصب يفوق منصب الوزير، كما خصص له مسكناً خاصاً داخل القصر يبيت فيه ويجتمع معه فيه. وكان ملازماً له في حله وترحاله، وشاركه في غزواته. واستمرت الأوضاع على حالها في عهد ابنه عبد الملك وعبد الرحمن الذي جمع له القضاء والوزارة وهذه سابقة في الأندلس لم تحدث قبله.

8- نفسه، ص. 38.

9- عياض، المصدر السابق، ج 7، ص. 167.

10- نفسه، ص. 168.

11- نفسه

12- نفسه.

13- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص. 38.

14- النباهي، الرقية العليا، دار الكاتب المصري، القاهرة، 1948، ص. 85.

ولم يتخلف العامريون عن تحقيق كل حوائج ومطالب القاضي الخاصة به أو بمن يطلبون وساطته ويهمه أمرهم¹⁵. وتواصلت هذه العلاقة حتى نهاية الوصاية العامرية بالرغم من بعض المشاكل التي اعترضتها وعكرت صفوها.

بدأ أبو العباس حياته ورحلته في القضاء بتعيين ابن زرب له في الشورى في تاريخ نجهله¹⁶، كما تولى قضاء فحص البلوط¹⁷، ولما توفي والده عام 370هـ/980م عينه ابن أبي عامر في خطة الرد¹⁸ فلم يزل حاكماً بخطة الرد مشاوراً في الأحكام حتى ولي القضاء بقرطبة¹⁸. وبعد عزل قاضي الجماعة ابن برطال ولاه المنصور مكانه يوم الأربعاء عاشر محرم عام 392هـ/1001م¹⁹. وهو أول من تلقب بلقب قاضي القضاء بالأندلس على عادة أهل المشرق قبل أن ينتزعه منه محمد بن عبد الجبار المهدي الثائر الأموي وبلغه عام 399هـ/1008م²⁰.

تولى أبو العباس القضاء فأعطاه كل ما يستحقه من الاحترام، وذكر أيام القضاة الكبار الذين عرفتهم الأندلس. واشتهر مجلسه بوقاره وحييته ولم ير أوفر منه حتى إن الناس لا يتكلمون فيه إلا إيماء ورمزاً. وكان "باسطاً للحق صلياً فيه، لا تأخذه لومة لائم، وكان الناس والخصوم يلتزمون في مجلسه من الوقار وخفض الصوت الغاية"²¹. وجمع الصلاة إلى القضاء في التاسع والعشرين من جمادى الأولى من عام 394هـ/1003م بعد إصابة صاحبه إبراهيم بن الشرفي بالفالج²².

ووقع خلاف بين القاضي والوزير الحاجب عيسى بن سعيد حول ضيعة لرجل سفيه يدعى ابن السليم عندما رفض الأول إمضاء بيعها للثاني، فاتهمه بالتآمر والثورة على عبد الملك المظفر مع الخادم طرفة، فعزل عن القضاء والصلاة يوم الخميس لثلاث من ذي الحجة عام 394هـ/1003م²³. لكن اكتشاف تآمر على السلطة العامرية وقته، أعاد القاضي إلى مكانته ومناصبه بعد تسعة أشهر

-
- 15 - عياض، المصدر السابق، ج 7، ص. 168؛ النباهي، المصدر السابق، ص. 85، وابن سعيد، المصدر السابق، ج 1، ص. 210.
 - 16 - عياض، المصدر السابق، ج 7، ص. 167.
 - 17 - ابن بشكوال، المصدر السابق، ص. 37.
 - 18 - نفسه، ص. 37-38، وعياض، المصدر السابق، ج 7، ص. 167.
 - 19 - نفسه، ص. 37، نفسه.
 - 20 - النباهي، المصدر السابق، ص. 84، نفسه.
 - 21 - نفسه، عياض، المصدر السابق، ج 7، ص. 171.
 - 22 - نفسه، ص. 169.
 - 23 - نفسه، ص. 170، والنباهي، المصدر السابق، ص. 86، وابن بشكوال، المصدر السابق، ص. 38.

من العزل، واستمر في منصبه حتى يوم الخميس خامس جمادى الأولى عام 401هـ/1010م، لكنه في الستين الأخيرتين فقد لقب قاضي القضاة بعد إلغائه من قبل المهدي ابن عبد الجبار، وعاد ليتسمى بقاضي الجماعة حفاظاً على التقاليد الأندلسية²⁴. وفي هذا التاريخ قام الوزير والحاجب واضح بعزله وأخويه أبي حاتم وعمر وإجلاتهم إلى وهران بالعودة المغربية بتهمة التعاطف مع البربر والميل إليهم. وتعرضوا للنهب والسلب، إلا أن مقتل واضح سمح لآل ذكوان بالعودة إلى البلاد. وبالرغم من إلحاح الحكام، فقد رفض أبو العباس تولي القضاء من جديد واكتفى بتقديم المشورة للقضاة والحكام حتى وفاته²⁵.

عاش أبو العباس ما يعرف بالفتنة البربرية في قرطبة فتعامل معها بذلكاء وحياد وحذر. فأول ما اندلعت أحداثها ترك عبد الرحمن شنجول الحاجب العامري وفارقه في منزل هاني شمال قرطبة وعاد إلى المدينة عام 399هـ/1008م²⁶، ولم يكتف بذلك بل ندد بعزله على غزو المدينة واعتبر ذلك أمراً عظيماً وخطيراً. وقبل طواعة التعامل مع الحاكم الجديد محمد بن عبد الجبار بقبول منصب قاضي الجماعة والإغراق في انتقاد شنجول في حضرته. ولما ثار البربر مع هشام بن سليمان بن الناصر وحاصروا قرطبة توسط بينهم وبين المهدي وحاول الصلح، لكنه فشل في مسعاه. وبعد نجاح البربر تحت قيادة سليمان المستعين في دخول المدينة سنة 400هـ/1009م، تمسك بمنصبه القضائي، حتى بعد عودة هشام المؤيد ورجله القوي واضح. وأظهر في هذه الشدة صلابة وقوة وواجه تصرفات الحكام الخرقاء، بحيث رفض دفع مال بيت مال الأحياس للنصارى مقابل دعم واضح وأنصاره ضد المستعين، فكسرت العامة باب القصور وأخذوا المال ودفعوه. وحاول عقد صلح مع البربر المحاصرين للمدينة وكلم الخليفة المهدي في ذلك، فاتهم من قبل واضح وأهل الأندلس بالميل إليهم والتعاطف معهم، فنفي إلى العدو المغربية كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وقبل دخول المستعين قرطبة للمرة الأخيرة في شوال من عام 403هـ/1012م، خرج إليه وطلب الأمان لأهلها فنهاله²⁷. وبعد عودة الهدوء، عرض عليه القضاء فاعتذر وفضل الاعتزال حتى وفاته في الواحد والعشرين من رجب من عام 413هـ/1022م. وكانت جنازته مشهودة حضرها الخاصة والعامة²⁸ (38).

24 - نياحي، المصدر السابق، ص. 86.

25 - نفسه، ص. 86-87، وابن سعيد، المصدر السابق، ج 1، ص. 211، وابن بشكروال، المصدر السابق، ص. 38.

26 - ابن عذاري، البيان المغرب، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج 3، ص. 71.

27 - نفسه، ص. 67 و 71 و 79 و 92 و 98 و 112.

28 - ابن بشكروال، المصدر السابق، ص. 38.

3- باقي رجالات بيت آل ذكوان

لم يكن أبو العباس وحيد هذه الأسرة، لكنه كان رئيسها وزعيمها. فمنذ السنوات الأولى لظهوره، زاحمه أخوه الأكبر أبو حاتم محمد بن عبد الله المزاد سنة 304هـ/916م (39) و"كان أبو حاتم - كما نقل ابن حبان - أطلق من أخيه لساناً، وله طبع في حسن الإيراد والامتناع"، وتولى القضاء في كور عديدة. وفي سنة 392هـ/1001م، حل محل أخيه المنتقل إلى قضاء الجماعة في قضاء الرد (المظالم) 29، وعزل رفقة أخيه من طرف المظفر بعد سنتين قبل أن يعاد إلى مكانه على إثر مقتل الوزير عيسى بن سعيد 30. وواصل عمله حتى نفيه إلى وهران واعتزاله بعد عودته 31. وكانت وفاته عام 413هـ/1022م كما هو يجمع عليه، ودون الأخذ برواية أوردها بعض عياض تؤجلها إلى السنة الموالية 32.

وكان للقاضي أخ ثالث هو عمر بن عبد الله، أبو حفص الأديب 33. وتعرض رفقة أسرته للنفي، وتولى الوزارة للمستعين الأموي قبل أن يعتزلها. ويظهر أن ذلك كان في ولايته الأولى سنة 400هـ/1009م، لأن محمد بن عبد الجبار هو من عزله. وكان من المتحمسين للمستعين وقاتل في صفوفه. ومات في آخر ذي الحجة من عام 403هـ/1012م 34.

ترك أبو العباس ابناً اسمه محمد أبو بكر المولود في رجب من عام 395هـ/1004م. وقد سمت مكانته وعلت في عهد يحيى بن علي بن حمود. ويبدو أنه كان يتولى القضاء في ظل الحموديين في قرطبة، ويشارك في أحداث المدينة المضطربة. ورشحه أعيان المدينة؛ عند تولي أبي الحزم ابن جمهور لرئاسة قرطبة سنة 422هـ/1031م عقب إلغاء الخلافة الأموية، للقضاء "وأجمعوا على أنه في الكهول حلماً وعلماً ونزاهة وعفة وتصاونا ومروءة وثروة"، لكنه امتنع ثم قبل بعد إصرار والحاح من أبي الحزم سنة 429هـ/1037م. وعمل على نشر العدل ونصرة الحق فمقتت وثقل موقعه على أهل البلد، فاعتزل القضاء في غرة شعبان من عام 430هـ/1038م بعد حكم عام إلا ثلاثة أيام. ومات يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول عام 435هـ/1043م، وحضر جنازته كل أهل قرطبة 35.

29 - عياض، المصدر السابق، ج 7، ص. 175-176.

30 - نفسه، ص. 170، والباقي، المصدر السابق، ص. 86.

31 - نفسه، ص. 173 و 175، نفسه، ص. 87.

32 - نفسه، ص. 174 و 176، والباقي، المصدر السابق، ص. 87.

33 - نفسه، ص. 173.

34 - ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج 5، ق 2، ص. 448-447.

35 - ابن سعيد، المصدر السابق، ج 1، ص. 70، وابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص. 13.

وخلف قاضي الرد أبو حاتم ابنين هما:

أبو علي حسن بن محمد الذي تولى حسيبة قرطبة أيام الفتنة وكذلك القضاء "وكان ثقة، عارفا بالحكومة، ذا حزيمة ونزاهة، عاطلا من العلم والأدب".³⁶

وأبو حاتم ذكوان بن محمد بن ذكوان الذي يبدو أنه لم يكن له حظ كبير من العلم، واشتغل سفيرا لأبي الوليد بن جهور للإصلاح بين ملوك الطوائف.³⁷

خاتمة

ينجح آل ذكوان بفضل جهود مؤسس هذا البيت عبد الله بن هرثمة بن ذكوان ودعم ابنه الأكبر قاضي القضاة أبي العباس في الصعود إلى قمة المجتمع القرطبي خاصة والأندلسي عامة من ناحية الثروة والجاه والعلم والسلطة. ونجح أبناء هذا البيت في تجاوز كل الأزمات وتكسير كل القيود وتخطي كل العقبات، وبالتالي كسب احترام الجميع حتى في فترة الغضب الشعبي ضد البربر واضطراب الحالة النفسية عند حصار المستعين للمدينة مع البربر أبناء جلدتهم. ولعل الغزوف الذي يغطي الرغبة الجامحة في تولي المناصب والقدرة الكبيرة على تقييم الحالة ومعرفة كوامن نفوس المخاطبين، ثم الانسحاب في اللحظة المناسبة دون التواري تماما كانت أكبر عوامل النجاح. إن كل المصادر تؤكد أن رجال هذا البيت لم يكونوا جهابذة في العلم، ولكنهم يملكون خصلة التنقل وهو ما جعلهم يتفوقون على غيرهم في فترة صار فيها المكر والدهاء والتسلق والحزم أسلحة وعمليات كثيرة التداول.

36 - عياض، المصدر السابق، ج 7، ص. 176.

37 - ابن الأثير، التكملة، ج 1، نشر مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1956، ج 1، ص. 320.